البحوث
والدراســـــات

رؤية المصريين للاحتلال الفرنسى لمصر
(١٧٩٨- ١٨٠١م)

أ. حمادة جمال ناجى

معيد بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حلوان

رؤية المصريين للاحتلال الفرنسى لمصر
١٧٩٨ - ١٨٠١ م

أ/ حمادة جمال ناجى

مقدمة :

تُعد قضية رؤية الأنا للآخر من القضايا التاريخية ذات الأبعاد المعرفية التى يُمكننا من خلالها الوصول إلى الكثير من النتائج المهمة، خاصة وأنها تبحث من ناحية فى ثقافة مجتمع ورؤيته للثقافات الأخرى المختلفة عنه فى المكونات الحضارية، ومن ناحية أخرى تبحث فى الكثير من النتائج الفكرية التى تُحدد طبيعة العلاقات بين الشعوب. بل أن من الممكن القول بأن الرؤية تؤثر بشكل كبير على العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين حضارة وأخرى.

وتُحاول هذه الدراسة مناقشة أكثر من سؤال أو قضية للوصول إلى معرفة العوامل التى شكلت صورة (الآخر) الفرنسى، فى عيون (الأنا) المصرية، فى زمن كانت الأنا نفسها تبحث عن ذاتها لتحقيق الاستقلال عن الحكم العثمانى الذى أثر بشكل كبير على رؤيتها للآخر لما يقرب من ثلاثة قرون. ومن أهم الأسئلة التى تتعرض لها الدراسة: كيف نظر المصريون آنذاك للمحتل الفرنسى، فى ظل الصورة التى قدمها الاحتلال عن نفسه للمصريين؟ وهل استطاع الاحتلال كسب ثقة المصريين؟ وهل أدى الاحتلال لإحداث تطور فى الوعى المصرى تجاه الآخر الغربى؟ وهل كانت الحملة بمثابة نافذة اطلع منها المصريون على المجتمع الغربى وعلومه المتقدمة آنذاك؟ فى ضوء هذه الأسئلة يُحاول البحث تقديم إجابات مستندة إلى المصادر المعاصرة، لاسيما كتابات الجبرتى، التى تُعد من أهم المصادر التى يمكننا من خلالها معرفة الصورة التى كونها عامة المصريين عن المحتل الفرنسى آنذاك. كما استندت الدراسة إلى ما سجله الشيخ عبد اللَّه الشرقاوى فى كتابه "تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين"، وما سجله الشيخ حسن العطار فى مقامته عن الفرنسيين "مقامة الأديب الرئيس الشيخ

حسن العطار فى الفرنسيس"، وغيرها من الكتابات المصدرية التى تدعُّم هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

هنا لابد من الإشارة إلى أنه بالرغم من الوفرة النسبية فى المادة العلمية بخصوص البحث، إلا أن استخلاص المعلومات والأفكار منها عملية ليست باليسيرة، بسبب تأرجح صورة الاحتلال الفرنسى فى هذه الكتابات، سواء بالرفض له فى غالب الأحيان، أو الإعجاب به فى أحيان أخرى .

الاحتلال الفرنسى فى عيون المصريين

أدى الصدام السياسى والفكرى بين المصريين والفرنسيين إبان الاحتلال الفرنسى لمصر عام ١٧٩٨م إلى تكوين أكثر من صورة عن هذا الآخر الغربى فى عيون المصريين. لقد نظر البعض إلى الاحتلال بعين الرفض باعتبار الفرنسيين إفرنج كفارًا، وبعضهم أُعجب بنظمهم الحديثة، وبعضهم انضم إليهم. فما هى الأسباب التى أدت لاختلاف هذه الصور فى عيون المصريين؟

بمجرد وصول الاحتلال الفرنسى إلى شواطئ الإسكندرية فى ٢٧ يونيه ١٧٩٨م، وقبل احتكاك المماليك والفرنسيين عسكرياً، أرسل بونابرت" Bon-aparte (١٧٦٩ - ١٨٢١م) عدة خطابات إلى المصريين حاول فيها استمالة المصريين بنوع من الدهاء، منها مثلاً منشور أورد فيه: "بسم اللَّه الرحمن الرحيم، لا إله إلا اللَّه لا ولد له ولا شريك فى مُلكه، من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية، يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد السناچق - الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية - يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلموا تجارها بأنواع البلص والتعدى، فحضر الآن ساعة عقوبتهم وحصرتاً من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الأبازا والكرج يُفسدوا فى الإقليم الأحسن الذى يوجد فى كرة الأرض كلها... يا أيها المصريون قد يقولوا إننى ما نزلت فى هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا

تصدقوه، وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد اللَّه سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم إن جميع الناس متساوين عند الله وأن الشىء الذى يفرقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضائل والعلوم فقط"[١]. ومنها منشوره الذى جاء فيه:"إننى لم آت لأرتكب شيئاً ضد القرآن وضد السلطان"[٢]، وغيرها من المنشورات التى تُوحى بمدى إدراك المحتل الغربى للثقافة الشرقية التى يسودها الطابع الدينى. فبونابرت حاول أن يصل إلى قلوب المصريين عن طريق قاعدة ثابتة لديهم تتمثل فى (الدين) باعتباره أداة ناجحة تُمكنه من السيطرة على كل شىء فى مصر. فماذا عن رد فعل المصريين تجاه هذه الخطابات؟.

يُمكننا استنتاج رد فعل المصريين على هذه الخطابات من خلال ما ذكره المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى (١٧٥٦- ١٨٢٥م)[٣] من تعليقات. ورغم كون هذه التعليقات تعكس رؤية الجبرتى، فإن تحليلاته لها تعكس مدى إدراك العقلية المصرية آنذاك لحيل المحتل الغربى. فالجبرتى علق على خطاب بونابرت بطريقة نقدية تهكمية، وبنوع من الوعى والفهم لنوايا المحتل قائلاً: "تفسير ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة، قوله: (بسم اللَّه الرحمن الرحيم، لا إله إلا اللَّه، لا ولد، ولا شريك فى ملكه) فى ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون للملل الثلاث ومخالفون لهم، بل ولجميع الملل... قوله (إننى ما قدمت لكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين) هذه أول كذبة ابتدرها، وفرية ابتكرها... ثم ترقى إلى ما هو أعظم من ذلك، رماه اللَّه فى المهالك بقوله: (وإننى أكثر من المماليك أعبد اللَّه) إلى آخره؛ لا شك أن هذا خبل فى العقل وغلو فى الجهل، أى عبادة فضلاً عن كثرتها مع كفر غطى فؤاده... قوله (وأحترم نبيه) معطوف على ما قبله من عطف الكذب على الكذب، لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته"[٤].

ومن تعليق الجبرتى على منشور بونابرت للمصريين يُمكننا إدراك ثقافة

الرفض عند المصريين تجاه الفرنسيين، والتى تعود جذورها لفترات تاريخية سابقة توارثها المصريون عن الأوروبيين عامة، حتى جاء الاحتلال الفرنسى ليؤكد على هذا الموروث. تنبه لهذا الأمر قادة الحملة الفرنسية، فأدركوا ما يتملكه الأهالى من خلفيات تاريخية عدائية عن المجتمع الأوروبى. يمكن الاستدلال على ذلك من خطابات قادة الحملة حول هذه النقطة، ومنها خطاب مينو (١٧٥٠ - ١٨١٠م) " Menouم" (القائد الثالث للحملة فى مصر) إلى الچنرال "دونزلو (General Donzelot) ("وفيه: "تلقيت أيها الچنرال خطابك الذى يحمل تاريخ ٢ ميسيدور. ووفقاً لما توفر لدى من معلومات فإننى أثق تماماً فى شدة حماسك ونشاطك، مما يحول دون حدوث ما يُعكر صفو الهدوء الذى يسود صعيد مصر. لكننا لن نتمكن خلال عامين فقط من محو الأحكام المسبقة الراسخة منذ آلاف القرون... ولا شك فى ضرورة أخذ المصريين بكثير من الشدة"[٥]. ومن ذلك رسالة مينو (Menou) إلى الچنرال "ڤيال" (General Vial) (حاكم إقليم المنصورة)، وذكر فيها: "يبدو لى أن الأهالى هناك وكذلك أهالى المناطق المجاورة لديهم نزعة للتمرد... فهم يتذكرون بلا شك الهزيمة التى أوقعها أجدادهم بجيوش أسلافنا منذ أكثر من ٥٠٠ عام" [٦].

لقد قدم الاحتلال، ومنذ البداية، صورة مشوشة للمصريين عن فرنسا فى ذلك الوقت. فعلى الرغم من المعرفة السطحية التى امتلكها بعض المصريين عن فرنسا وثورتها فى عام ١٧٨٩م "حصل فى مدينة باريز (أى باريس) بلية عظيمة لأنه قد هاج شعب ذلك المملكة جميعه هياجاً عظيماً وتظاهروا أهله ظهوراً جسيماً ضد الأقران والامرا (أى الأمراء) والسلطان والأشراف..."[٧]، إلا أن معرفة المصريين بعادات وتقاليد الفرنسيين كانت مُنعدمة تماماً، ولم يُحاول الكثير من المصريين الاختلاط بهؤلاء الإفرنج لكونهم "الكفرة المعتدين"[٨] أو "الكفار الفرنساوية الأشرار"[٩]. وهذا ما ذكره كليبير "Kleber" (١٧٥٣ - ١٨٠٠م) فى الخطاب الذى أرسله إلى حكومته قائلاً: "إن الشعب منزعج، وهو لا يرى فينا، وهو شىء يمكن تصوره، غير أعداء لما يملك. وقلبه مفتوح أبداً على

الأمل فى حدوث تغير مؤات"[١٠].

أما عن محاولات الاحتلال لكسب ثقة المصريين، فلم تنجح بشكل كبير. فالمصريون نظروا إلى الفرنسيين باعتبارهم كفاراً لا يجوز إعانتهم أو التعامل معهم[١١]، وإن وجدت تعاملات محدودة بين مصريين وفرنسيين لتحقيق نوع من التراضى بين الطرفين، كالاتفاق الذى حدث بين بعض المصريين والفرنسيين (فى٢٠ محرم١٢١٣هـ/ ٤ يولية ١٧٩٨ م) مصحوباً ببعض الشروط وهى "أنهم (أى عامة المصريين) لا يخونون العسكر الفرنساوى، ولا يتعرضون له بأذية، ولا يمكرون ولا يسعون له بأمر من أمور المخاوف.. وقد التزم لهم أمير الجيوش الفرنساوية بكف عساكره عن التعرض لأحد من أهل البلد بأذية أو ضرر أو نهب أو تخويف.. وأن الأمير الكبير لا يتعرض لأحد فى تغيير دينه، ولا فتنة عنه، بل الناس مقرون على دينهم، مؤتمنون على أنفسهم وأموالهم"[١٢].

قدم هذا الاتفاق صورة حية عن رؤية بعض المصريين للمحتل الغربى. فالكثيرون منهم تخوفوا على عقيدتهم من هؤلاء "الذين يحكمون العقل ولا يدينون بدين"[١٣]. وقد ساعد على ترويج هذه الأفكار ما كانت تُرسله الدولة العثمانية من فرمانات تُحفز المصريين على الجهاد ضد الفرنسيين "لأنهم الكفرة الطغاة، والفجرة البغاة، لا يؤمنون بوحدانية رب السما (السماء) والأرض ولا برسالة الشفيع يوم العرض، بل تركوا الأديان كلها، ونكروا الآخرة وشدتها... حتى أنهم نهبوا أموال كنايسهم وجملة صلبانهم، وغاروا على قسوسهم ورهبانهم، وزعموا أن الكُتب التى جاءت به الأنبيا (الأنبياء) هى كُفر صريح... وقد فتنوا بين الملل، وألقوا الفساد بين الملوك والدول، وبالكُتب المزورة والأباطيل المزخرفة، يخاطبون كل طايفة بقولهم: إننا منكم وعلى دينكم"[١٤].

تنبه قادة الحملة إلى تأثير الفرمانات العثمانية على المصريين، لذا اتخذوا الكثير من الإجراءات التى تُحاول رسم صورة حسنة عنهم فى عيون المصريين. يظهر ذلك بوضوح فى بعض مراسلات قادة الحملة، وتضمنت على سبيل المثال

"احرص فى دمنهور على احترام المساجد، وألا ترتكب الإساءة إلى الناس فى أقل الحدود الممكنة"[١٥] و"عليك بتوصيتهم باحترام الصيادين وسفنهم، بل أن تقدموا كافة أنواع اللفتات الكريمة، وأن تعطوهم المنشورات التى أُرسل لكم منها"[١٦]. وقد ذكر هذه الإجراءات الجنرال برتييه "Berthier" فى كتابه "رواية الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام"، وأن بونابرت طلب من الأهالى الاستمرار فى إقامة الصلوات والاحتفالات الدينية لأن"الفرنسيين يرغبون فى البقاء أصدقاء للشعب المصرى"[١٧].

لاشك أن هذه السياسة قد ساعدت الفرنسيين على ضم بعض المصريين إلى صفهم، أو على الأقل ساعدتهم على تهدئة الأهالى نحوهم فى بداية الأمر. ويمكننا الاستدلال على نجاح هذه السياسة من خلال ما ذكره الجبرتى بخصوص انضمام بعض المصريين إلى الفرنسيين أثناء الاحتلال، بل وسافر البعض مع الحملة فى النهاية عقب خروجها من مصر عام ١٨٠١م. ومن خلال النصوص التالية يُمكننا استنتاج ذلك، ومنها "إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالاً من الإنكليز، لأننا قد عرفنا أخلاقهم"، كما أنه خص بعض الأسماء التى كان لها علاقة بالاحتلال مثل الشيخ خليل البكرى الذى كان "يوالى الفرنسيس ويُرسل إليهم الأطعمة"، وابنة الشيخ البكرى التى "كانت ممن تبرجن مع الفرنسيس"[١٨].

ومن أشهر الشخصيات التى تأثرت بدعاية الاحتلال وانضمت إليه أيضاً شخصية (يعقوب حنا)[١٩] الذى استطاع الحصول على ثقة كبيرة لدى قادة الحملة الفرنسية، وتولى مناصب عدة فى جيش الحملة ، ثم غادر معها فى النهاية إلى فرنسا عام ١٨٠١م قائلاً : "سأضطر إلى مغادرة ضفاف النيل، رغم أننى مصرى، للعيش فى وطنى الجديد"[٢٠]، ويُمكننا رؤية علاقة المعلم يعقوب بالفرنسيين فى قصيدته التى ألَّفها فى رثاء الجنرال ديسيه/ديزيه (Desaix) عقب مقتله فى معركة مارنجو (Marengo) التى كانت بين الفرنسيين

والنمساويين على الأراضى الإيطالية فى ١٤ يونيه عام ١٨٠٠م[٢١]. بدأت هذه القصيدة بـ "إنا للَّه وإنا إليه راجعون... فهذا دعاء جليل سديد، به ننتخب وفات (وفاة) عزيزه الجنرال داسه (ديزيه) صاحب الأمير يعقوب سارى عسكر القبط الجديد". ولطول القصيدة أذكر بعض الأبيات منها فقط :

داســـه فاتـح بلادنا بناحيـــة قـبلـى يضرب ويشفى ولا يدنو إلى الغدرِ
صنديد مجاهد وخصم محارب ولكنه طبيب مداوى الجراح بالزيت والخمرِ
ومـن بعد حـكم الفرنسيـس أعـــوام فلا تسبُّها لحاكم يسـوس بالقسـرِ
فمنك نُطلب العون يا داســه بأجمعنا واسمك بباريس حمانا يا شائع الذكرِ
ومحبتنا للفرنسيس فـلا بـد عنـها لأنهم أعتقونا من الأضرار والشرِ[٢٢]

ورغم تأثر بعض المصريين بالدعاية الفرنسية التى حاولت بشتى الطرق كسب ثقة المصريين، إلا أن أغلبهم تنبهوا إلى أساليب الاحتلال التى تهدف إلى تشتيت جموع الشعب المصرى[٢٣]. ومن جراء ذلك حدث نوع من الوعى الاجتماعى لدى الأهالى وخرجوا عن عزلتهم وصمتهم، واتحدوا تحت شعار واحد هو (الجلاء)، وخرجوا فى ثورة عارمة ذكرها الجبرتى باسم الفتنة فى أحداث سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م على أنها كانت ثورة بدون رئيس، وتكونت من عامة المصريين الرافضين لهذا الاحتلال "ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح فى الكلام نصر اللَّه دين الإسلام"[٢٤].

ورغم فشل الثورة فإنها كانت سبباً رئيساً فى زيادة وعى أفراد المجتمع، وقرر كل فرد العمل جاهداً للتخلص من الاحتلال. تكررت المحاولات الثورية بعد ذلك حتى كانت سبباً فى زعزعة قوة الاحتلال الفرنسى وعرقلة مخططاته الاستعمارية، ونجح الأهالى فى استثمار هذه الحركات الاجتماعية واستطاعوا من خلالها اكتساب المزيد من الوعى بذاتهم وبالآخر[٢٥].

أما عن الرؤية الفكرية المصرية للاحتلال الفرنسى فكانت مضطربة بعض

الشىء، بسبب الاحتلال نفسه الذى حاول، بأكثر من طريقة، تشتيت عقلية المصريين. فالثابت أن الحملة الفرنسية لم تكن نافذة مكنت المصريين من الاطلاع على المجتمع الغربى وعلومه المتقدمة آنذاك بقدر ما كانت هزة عنيفة أيقظتهم "من سبات كانوا فيه منذ العصور الوسطى وفتحت أعينهم لعصر جديد ومدنية جديدة تنطوى على معلومات وأفكار لا عهد لهم بها من قبل، فآنس المصريون من هذا الضوء بريقاً لامعاً وتنسموا فى الهواء عنصراً منعشاً من ناحية أوروبا"(٢٦).

لقد أدرك بونابرت، منذ البداية، خطورة العقلية المصرية التى تنبُّع من أمة خصها فى أوامره العسكرية قائلاً: "إن هذه الأمة هى تماماً كما توصف فى كتب الرحالة وكتابات المسافرين، هادئة ومعتزة بنفسها وشجاعة"(٢٧). لذا جهز لها سلاحاً خاصاً تمثَّل فى (علماء السوربون) الذين ركزوا دورهم على إقامة بعض المشروعات الفرنسية والتجارب العلمية التى هدفت فى الأساس إلى إبهار المصريين بقوة فرنسا والفرنسيين. ولكن ما هو موقف المصريين من هذه الحيل الفرنسية فى ذلك الوقت؟.

يُمكننا تحليل رؤية المصريين للعلوم الفرنسية من خلال بعض الأحداث التى ذكرها الجبرتى فى مؤلفاته حول هذه النقطة، منها مثلاً ذكره لتجربة (المنطاد) التى قال فيها: "وفى عشرينه (يقصد ٢٠ جمادى ١٢١٣ هـ) الموافق"٢٩ نوفمبر ١٧٩٨م" كتبوا عدة أوراق مطبوعة ولصقوها بالأسواق، مضمونها:"إن يوم الجمعة حادى عشرينه، قصدنا نُطير مركباً ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة للطايفة الفرنساوية، فكثر لغط الناس فى ذلك كعادتهم، فلما كان ذلك اليوم، قبل العصر تجمع الناس والكثير من الفرنج ليروا تلك العجيبة، وكنت بجملتهم فرأيت قُماشاً على هيئة الأوبة على عمود قائم ملون: أبيض، وأحمر، وأزرق، وعمودها مركب على مثل دايرة الغربال، وفى وسطه سكرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان، وتلك السكرجة مصلبة بسلوك حديد منها إلى دائرة، وهى مشدودة ببكر وأحبال يمسكها أناس قائمون بأسطحة البيوت القريبة منها، فلما كان بعد العصر بنحو

الساعة أوقدوا تلك الفتيلة، فصعد دخانها إلى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصار مثل الكرة، وظل الدخان يتصاعد إلى مركزه، فلم يجد منفذاً فجذبها معه إلى فوق فجذبوها بتلك الأحبال حتى ارتفعت عن الأرض، ثم قطعوا الأحبال فصعدت إلى الجو مع الهواء، ثم أقامت تمشى فى الهواء هنية لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة، وسقط بعدها القماش فانكسفوا لسقوطها. ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب يجلس بها أنفار من الناس، ويسافروا فيها إلى البلاد لكشف الأخبار، وغير ذلك من التمويهات، بل ظهر أنها مثل الطيارات التى يصنعونها الفراشون بالمواسم والأفراح"(٢٨).

وبتحليل ما ذكره الجبرتى عن هذه الحادثة نستنتج مدى الوعى المصرى لهذه الحيل الفرنسية التى حاولت ترهيب المصريين بالقوة الكاذبة والمصطنعة للاحتلال "فانكسفوا لسقوطها، وغير ذلك من التمويهات". ومما يدل على ذلك أيضاً تناقض الرواية الفرنسية مع رواية الجبرتى حول موقف المصريين من هذه الحادثة. فها هى صحيفة الكوريه دى ليجيبت (Courier de l'Egypte) تصف حادثة المنطاد بنوع من الدعاية التفخيمية لتجارب الحملة، وأوردت: "عندما بدأ المنطاد فى الصعود إلى طبقات الجو هرب الذين كانوا بالقرب منه وهم شبه مذهولين. ولما رأوا بقاياه المتحطمة تتساقط على الأرض استنتجوا من ذلك أن المنطاد عبارة عن أداة حرب نُسيِّرها بمعرفتنا ونستعملها لحرق مدن أعدائنا"(٢٩).

لقد حاول الاحتلال بشتى الطرق إبهار العقلية المصرية بأدوات الحداثة الأوروبية. كان الهدف الأساسى من إجراء علماء الحملة لبعض التجارب الكيميائية والفيزيائية أمام المصريين لإقناعهم بقوة الاحتلال. من هنا جاء إعجاب بعض المفكرين المصريين بهذه الأساليب الحديثة التى جعلت بعضهم فى موضع شغف وفضول للبحث "عن السر فى تقدم هؤلاء الغرباء"(٣٠)، وعلى رأس هؤلاء الجبرتى الذى "كان منفتحاً على الأدوات التى جاء بها الفرنسيون، وذكر بإعجاب واضح ظهور النقالة واستخدام أدوات جيدة النوعية.. وبالمدفع الذى

يضرب كل يوم ليُحدد وقت الزوال..."[٣١]. ولكن ما هى درجة الإعجاب التى وصل إليها الجبرتى وغيره من المفكرين المصريين تجاه أدوات الاستنارة فى ذلك الوقت؟

لقد تفاوت إعجاب المفكرين المصريين تجاه هذه الإمكانيات الحديثة، بل وتناقض بعضهم مع نفسه. فالجبرتى تأرجحت نظرته للاحتلال بين مؤلفاته الثلاثة (عجائب الآثار، ومظهر التقديس، وتاريخ مدة الفرنسيس). ففى (مدة الفرنسيس وعجائب الآثار) مدح بوضوح صفات الفرنسيين وانضباطهم وإطاعتهم للأوامر لدرجة أنه ذكر فى عجائب متحفظاً "إن الفرنساوية لو اجتهدوا فى إزالة جبل عظيم لأزالوه فى أسرع وقت"[٣٢]. أما فى (مظهر التقديس) الذى بدأه بـ"حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السُّفلى وكلمة اللَّه هى العليا" فهاجمهم بشدة فى أغلب حديثه، وذكر فرحة المصريين بخروج الاحتلال: "ففرح الناس، وهنأ بعضهم بعضاً، وأظهروا الفرح والسرور بدخول المسلمين وخروج الكافرين"[٣٣].

على أن هذا التفاوت فى الرؤية لم يقتصر على كتابات الجبرتى، بل طال أغلب المفكرين المصريين المعاصرين له. فعلى سبيل المثال لم يخفِ (حسن العطار)[٣٤] فى مقامته (مقامة الأديب الرئيس الشيخ حسن العطار فى الفرنسيس) إعجابه الشديد ببعض الفرنسيين، لدرجة أنه ألَّف فى بعضهم الشعر قائلاً:

من الفرنسيس ظبى سحر مقلته ... عند المحب له فى القلب تأسيسُ
قد لاح حلل سود فحلت سنا ... صبح عليه من الأسبار حنديس
روض من الحُّسن لا تدنو إليه ذوائبه ... كأنه غصن فى الروض مغروس
رأى المحبة من عينى فخاطبنى ... بدر لفظ فى الروض وتأنيث
تجانس الحسن فى مراه حين غدا ... كأنه لفظ به لطف وتأنيث
وصاد عقلى بلفتات فواعجباً ... حتى على العقل قد تسطو الفرنسيس[٣٥]

على أن هذا الإعجاب اختفى عند العطار بعد خروج الاحتلال. ففى حاشيته (شرح الأزهرية فى علم العربية) هاجم الاحتلال ووصف الفرنسيين بـ (الكفار) قائلاً: "هذه حواش كنت جمعتها على شرح الأزهرية فى علم النحو وقت قراءة لذلك الكتاب بالجامع الأزهر لبعض الطلبة ثم شرعت فى نقلها من المسودة فدهم مصر ما دهمها من حادثة الكفرة الفرنسيس..." .[٣٦].

ويُمكن أيضاً رصد ذلك التفاوت فى كتابات الشيخين إسماعيل الخشاب (ت١٢٣٠هـ / ١٨١٥م)[٣٧] وعبد اللَّه الشرقاوى (١١٥٠هـ - ١٢٢٧هـ / ١٧٣٧ - ١٨١٢م)[٣٨] . فالخشاب فى كتابه "التاريخ المسلسل فى حوادث الزمان ووقايع الديوان" أظهر بوضوح مدحه للديوان الذى أقامه الاحتلال ورؤسائه قائلاً: "الجنلار الكبير سارى عسكر الجيوش الفرنساوية عبد اللَّه جاك مينو، وفقه اللَّه لما به صلاح النظام، وكمال الرفق بالخاص والعام، وأسبغ بشمول عدله النعم، وأصلح بصلاح سيرته وسريرته العرب والعجم آمين، من ضبط وقائع الأمور وحوادث الدهور المتبلجة عن انتظام شمل العامة والجمهور، الصادر بديوانه المعمور الذى رتبه بحسن سياسته، واختار له أجل حملة الشرع بفراسته، وضم إليهم بإتقانه وإحكامه رئيس علماء دولته، موضع سره ومصدر نهيه وأمره، الفيلسوف المقدم والماهر الذى فاق بحسن تدبيره من تقدم، ولى سارى العسكر ووكيل ديوانه الستويان فوريه رئيس الأحكام وقدوة المدبرين والحكام..."[٣٩] .

كما أنه أكد على خطابات بونابرت التى أرسلها إلى الشعب المصرى - قبل دخول الاحتلال مصر فى كتابه "أخبار أهل القرن الثانى عشر" قائلاً: " حتى أفضى بهم الأمر؛ أى المماليك إلى أن صالوا على أموال التجار الفرنساوية وكوتبوا فى شان ذلك مراراً عديدة على أن يردوا جميع ما أخذ لهم فلم يلتفتوا إلى ذلك، بل تمادوا فى غرورهم، فآثر ذلك حقداً فى نفوس الفرنساوية منهم لما هم مجبولون عليه من ثبات الأقدام والإقدام، وقد أنذروا فلم يوجد نفعاً ، فجهزوا ركبه عليهم ، وقدموا إلى سكندرية فى العشر الأواسط من شهر محرم

سنة ١٢١٣هـ" [٤٠] على أنه، وبعد خروج الاحتلال، هاجم الخشاب الفرنسيين فى ديوانه مضمناً ببيت أبى الطيب المتنبى قائلاً:

لا تأمنن عدواً جاء مبتسماً فإنه فى الذى يأتيه مُتهمُ
ولا يغرنك منه لين جانبه فقلبه نار الحقد تضطرمُ
واسمع مقام إمام حاذق فطن فقوله عند أرباب النهى حكمُ
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنن أن الليث يبتسمُ[٤١]

أما الشيخ عبد اللَّه الشرقاوى، فاختلفت نظرته تجاه الفرنسيين. لقد مدحهم إبان الاحتلال وأعجب بعقلية بعضهم. يُمكننا الاستدلال على ذلك ببعض خطاباته إلى بعض الفرنسيين، ومنها خطابه إلى رئيس الأطباء الفرنسيين - بالاشتراك مع الشيخ محمد المهدى كاتم سر الديوان- وجاء فيه: "من محفل الديوان العالى بمصر المحروسة خطاباً إلى حضرة السيتوين الخواجة (دجنط) رئيس الأطبا الفرنساوية جعل اللَّه الخير على يديه، أما بعد الدعا لكم بخير فإنه سابقاً وصلت من بينتكم وهى الرسالة التى عم نفعها بين الخاص والعام من أهالى مصر من جهة الرسالة والكتاب الذى ألفتوه فى علاج الجدرى وأسبابه وإصلاح غدايه وتدبير أدويته وقطع ضرره، وقد شكر الناس جميعاً كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد إتقانكم فى علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعاً بهذا الكتاب وادخروه عندهم ليحفظوا أنفسهم من هذا الداء العضال الكثير المنتشر فى إقليم مصر، وكثرة دعوات الناس الصالحة لكم وشكروا إحسانكم ومعروفكم وعلموا أن الفرنساوية لهم خبرة ومعرفة واتقان بعلم الطب وكان السبب فى اعتراف الناس بذلك هو هذا الكتاب ولا تقطعوا عن الناس معارفكم وعلومكم قال النبى صلى اللَّه عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس من تعلم علماً وعلمه حصل له الثواب الكثير والأجر العظيم من اللَّه"[٤٢].

أما فى كتابه "تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين"

فاختلفت نظرته تماماً للفرنسيين، واعتبرهم "فرقة من الفلاسفة إباحية طبائعية يُقال هم نصارى فاتوا لبقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً ويُنكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الأنبياء والمرسلين ويقولون إن اللَّه واحد لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الأحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع..."[٤٣].

مما سبق يتضح أن اختلاف وتفاوت الكتابات المصرية المعاصرة للاحتلال الفرنسى كان خاضعاً للظروف التاريخية وللظروف الشخصية التى وضعت كُتاب الفترة فى موقف لا يحسدون عليه: فإما مهاجمة الاحتلال أو مُسايرته للاستفادة منه، كما أن الانبهار الذى أصاب المصريين جعلهم منحصرين بين القديم والحديث. فالبعض تأثر بالحداثة الأوروبية، والبعض تمسك بعاداته وتقاليده وعاد لوضعه بعد خروج الاحتلال، مثلما ذكر العطار فى نهاية مقامته: "فرجعت لرشدى أقتفيه، واستغفرت اللَّه مما كنت فيه"[٤٤].

أما عامة المصريين فلم يستوعبوا الصدمة الحضارية التى سببها الاحتلال. فالبعض تأثر بالعادات الغربية، "ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء"[٤٥]. والبعض تجاهل أدوات الحداثة الأوروبية التى استخدمها الاحتلال، حتى اعتبر الفرنسيون ذلك بمثابة جهل لعامة المصريين بهذه الأدوات. ويمكننا رصد ذلك من خلال كتابات بعض علماء الحملة، ومنها ما ذكره جلبير جوزيف دى شابرول (Gilbert Geoseph de Chabrol) فى دراسته (عادات وتقاليد سكان مصر المحدثون) فى وصف مصر حول جهل المصريين والنوبيين بخصوص رسم الصور الإنسانية، حيث ذكر أن أحد الرسامين الفرنسيين ويُدعى ريجو (Rigo) نجح فى إقناع أحد المصريين النوبيين بعمل لوحة تحمل صورته بالحجم الطبيعى. وعندما بدأ الرسام فى عمل الصورة فرح النوبى فرحاً شديداً باللوحة، ولكن بعد الانتهاء منها صرخ النوبى فى وجه الرسام "وصاح فى الشارع بأنه قادم من بيت نزعوا فيه رأسه ونصف جسده"[٤٦].

وفى ضوء هذه الحادثة يُمكننا صياغة سؤال فى غاية الأهمية، ألا وهو: إلى أى مدى وصل التجاهل أو الجهل - كما اعتبره الاحتلال- لعامة المصريين تجاه أدوات الحداثة الأوروبية التى استخدمها الفرنسيون؟. فعلى الرغم من عدم قبول معظم المصريين لأدوات الحداثة التى استخدمها الاحتلال والنفور منها، إلا أن الاحتلال بالغ تماماً فى جهل المصريين بهذه الأدوات، بل إنه اعتبر تجاهل المصريين لها بمثابة عدم وعى وقلة معرفة، والحقيقة عكس ذلك، فقد كان المصريون على درجة كبيرة من الوعى بكثير من هذه الأدوات التى نظروا إليها على أنها أدوات مستحدثة وليست حديثة مثل حادثة المنطاد السالفة الذكر التى اعتبرت "مثل الطيارات التى يصنعونها الفراشون بالمواسم والأفراح"(٤٧)، كما أنهم كانوا على دراية كبيرة بالكيمياء وتحويل المعادن، وأتقن بعض العلماء أيضاً علم الفلك، واهتم بعضهم أيضاً بعلم الطب مثل عبد الرحمن الجبرتى الذى تُنسب إليه مختصر تذكرة داود الأنطاكى(٤٨)، وغير ذلك من العلوم العقلية التى تثبت معرفة وإدراك الكثير من المصريين بمختلف العلوم المعرفية.

الخاتمة:

وختاماً يُمكننا القول إن رؤية المصريين للاحتلال الفرنسى كانت رؤية متأرجحة فى أغلب الأحيان، واختلفت بين طبقات المجتمع المصرى آنذاك، سواء بين طبقة العلماء والمشايخ الذين سايروا الاحتلال، أو عامة المصريين الذين رأوا استخدام القوة لتحقيق الجلاء وتحرير الأراضى المصرية من يد هؤلاء الإفرنج.

كما قدم الاحتلال الفرنسى (١٧٩٨- ١٨٠١م) فرصة كبيرة للمصريين للتعرف على هؤلاء الإفرنج عن قرب. فعلى الرغم من تأرجح صورة الأوروبيين فى عيون المصريين إلا أن وجودهم فى مصر ساعد المصريين على تكوين معلومات - ولو ضئيلة ومحدودة- مهمة عنهم وعن عاداتهم فى بلادهم، ولكن من الثابت فى هذه القضية أن رؤية المصريين للأوروبيين بصفة عامة كانت رؤية عدائية متوارثة منذ فترة الحروب الصليبية التى ظهر فيها الغرب بصورة عدوانية كفرية فى عيون الشرق المسلم آنذاك، وهذا ما أدى إلى تبلور هذه الصورة فى عيون الشرق العربى على مدى فترات تاريخية لاحقة أثرت بشكل كبير على رؤية الشرق للغرب.

أما العبارة التى ادعت أن الحملة على مصر كانت بمثابة نافذة أطل منها المصريون على العلوم الأوروبية المتقدمة آنذاك؛ فليست صحيحة بالإجمال، والدليل على ذلك أن المصريين كانوا على دراية كبيرة -قبل الاحتلال - بمختلف العلوم العقلية والمعرفية فى مجالات الطب والفلك والكيمياء والجغرافيا وغيرها من العلوم التى جعلت مصر على حافة إقامة نهضة حضارية ضخمة، على الرغم من كل العراقيل التى وضعها الحكم العثمانى أمام المصريين فى مدة قاربت الثلاثة قرون، كما أن رغبة بونابرت فى تدعيم حملته بلفيف من علماء السوربون يؤكد على أشياء مهمة حول هذه النقطة ، ألا وهى:

أولاً: كان بونابرت على دراية كبيرة بقوة العقلية المصرية التى ذكرها فى مراسلاته قائلاً : "إن هذه الأمة هى تماماً كما توصف فى كتب الرحالة وكتابات

المسافرين هادئة ومعتزة بنفسها وشجاعة"[٤٩].

ثانياً: حاول بونابرت بشتى الطرق اجتذاب هذه العقلية منذ البداية بأكثر من طريقة، منها ارتدائه لعباءة الدين الإسلامى من ناحية، وإبهار المصريين بأدوات الحداثة الأوروبية على يد علماء السوربون من ناحية أخرى. ويُمكننا الاستدلال على ذلك من خلال بعض رسائله التى قال فيها على سبيل المثال: "ادرس عقلية الناس الذين تعيش بينهم وميز الذين يمكن توظيفهم"[٥٠]، "إن كل هؤلاء الناس يعتقدون أننا جئنا هنا بنفس عقلية لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٢٦ - ١٢٧٠م) والتى يحملونها هم بداخلهم عندما يزورون الدول المسيحية، ولكن اليوم الظروف عكس هذا كله"[٥١]، و"إننى أُريد أن نُساير هؤلاء الناس، وأن نُبدى احترامنا لهم"[٥٢].

فى النهاية يُمكننا القول إن الاحتلال الفرنسى تسبب فى تحريك الذات المصرية وأيقظها من نوم عميق لازمها مدة ليست بالقليلة، لتستيقظ فى النهاية على المدنية الفرنسية الحديثة "وفتح بعض الإفرنج البلديين بيوتاً يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم". بل تأثر بعض المصريين بالعادات الغربية تحت مبدأ التجربة والتجديد. وعلى الرغم من ثبوت نظرة الإعجاب لبعض المصريين تجاه الحداثة الفرنسية "إن الفرنساوية لو اجتهدوا فى إزالة جبل عظيم لأزالوه فى أسرع وقت"، فإن النظرة الدينية للمصريين تجاه الفرنسيين لم تتغير واعتبروهم فى أغلب الأحيان "فرنسيس كافر"[٥٣].

الهوامش

(١) انظر نص المنشور فى : نقولا ترك: مذكرات نقولا ترك، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ص٢٠، ٢١؛ وانظر أيضاً : عبد الرحمن بن حسن الجبرتى: مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص٢٣، ٢٤.

(٢) رسالة من بونابرت إلى أبو بكر باشا القاهرة، رقم ٢٥٦٠، ٣٠ يونيو ١٧٩٨م، منشورة فى: الأوامر العسكرية اليومية لنابليون بونابرت فى مصر١٧٩٨-١٧٩٩م، ترجمة: أحمد يوسف، ج١، المجمع العلمى، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٤٣.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى: مؤرخ مصرى، ومدون وقائعها وسير رجالها فى عصره. ولد بالقاهرة عام ١٧٥٤م. تعلم فى الأزهر، وجعله بونابرت حين احتلاله لمصر من كتبة الديوان. ولى إفتاء الحنفية فى عهد محمد على، ومن مؤلفاته "عجائب الآثار" فى أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتى، وكتاب " مظهر التقديس"، وقتل له ولد فبكاه كثيراً حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته حوالى عام ١٨٢٢م . خير الدين الزركلى: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٠٤.

(٤) عبد الرحمن الجبرتى: المصدر السابق، ص ص ٢٦، ٢٧. انظر أيضاً : محمد صبرى الدالى: مسميات الأوروبيين فى المصادر التاريخية المصرية بين الوعى بالذات والوعى بالآخر من القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر ، دراسة منشورة فى كتاب: فقهاء وفقراء اتجاهات فكرية وسياسية فى مصر العثمانية، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠م، ص٣٥١ .

(٥) رسالة من القائد العام مينو إلى الجنرال دونزلو، رقم٢٠، ٢٩ يونيو ١٨٠٠م، فى: مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١م، ترجمة: باتسى جمال الدين، أميرة مختار محمود، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤م، ص١١١.

(٦) رسالة من اللواء ج. مينو إلى الجنرال فيال حاكم المنصورة، رقم٣،فى ١٧ نوفمبر ١٧٩٨م، المصدر السابق، ص٦٣.

(٧) مجهول: الغاوى المنطوى على تاريخ قصة الفرنساوى، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (٦٣٢) ميكروفيلم، ص٣.

(٨) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس، ص ٦ .

(٩) مجهول: الغاوى المنطوى ، ص ٢٦ .

(١٠) رسالة من كليبير إلى حكومة الإدارة، بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٧٩٩م، نقلاً عن: هنرى لورنس: كليبر فى مصر المواجهة الدرامية مع بونابرت ، ترجمة: بشير السباعى، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٦.

(١١) نبيل السيد الطوخى: صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨- ١٨٠١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص٣١٩.

(١٢) وقع على هذه الوثيقة إبراهيم البرجى مفتى الحنفية وسليمان الكلاف مفتى المالكية ومحمد المسيرى وأحمد عبد الله الشافعى وحسن كانيد وعباس القويضى ومصطفى محمد، نص وثيقة الاتفاق الذى تم بين "أعيان الإسكندرية ..ورئيس الأمة الفرنسية والقائد العام للجيش المعسكر بالمدينة" بتاريخ ٢٠ محرم ١٢١٣هـ٤/ يوليه ١٧٩٨م، وثيقة منشورة فى كتاب: عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ص١٧٥، ١٧٦.

(١٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ج (٣) ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٩١.

(١٤) جاء فى هذا الفرمان أيضاً "اتصل فسادهم وشرورهم قصدهم إلى الأمة المحمدية والملة الأحمدية. وقد وقع بيدنا بواسطة بعض جواسيسنا الكتب التى كتبها لهم مدبر جمهورهم، وريس عساكرهم بونابارته، فأسمعوا خرافاته وما يقوله الفساد المبين. ننهى إليكم إن ركن العالم قوى متين، ذو الصلابة فى الدين فإذا وصلتم إلى أقطارهم، وملكتم ديارهم، ينبغى عليكم أن تعاملوهم بمقتضى حالهم، فالضعيف منهم بادروه بالحرب والقتل والنهب، والقوى انصبوا له شراك الحيل والمكر، ولأغنياهم وكبارهم بعدم التعرض لدينهم وعرضهم وأموالهم، وألقوا الفتن بينهم، وسلطوا الدنى بهم على الشريف، وألقوا الفساد والنفاق بالحيل والاتفاق، وعلى الخصوص خاقانات العجم بينهم وبين بنى عثمان بأى وجه كان، ليقع النزاع والجدال، والشرور والقتال...". فرمان السلطان العثمانى للكافة لجهاد الفرنسيين، بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ٨/ أكتوبر ١٧٩٨م، وثيقة منشورة فى كتاب: عبد العزيز نوار وآخرون: وثائق تاريخ العرب الحديث "النهضة العربية الحديثة"، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م، ص ص ١٢٩-١٣١.

(١٥) رسالة من بونابرت إلى الجنرال ديزيه، بتاريخ ١٦ يوليو ١٧٩٨م، رقم (٢٥٧٦)، فى كتاب: الأوامر العسكرية اليومية لنابليون بونابرت فى مصر١٧٩٨-١٧٩٩م، ترجمة: أحمد يوسف، ج١، المجمع العلمى، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٥١.

(١٦) رسالة من بونابرت إلى الأميرال بيرييه قائد المراكب الحربية بالنيل، بتاريخ ٥ يوليو ١٧٩٨م، رقم (٢٥٨٧)، المصدر السابق ، ص ص ١٥٥ ، ١٥٦.

(١٧) ل. برتييه: رواية الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، ترجمة : هلا سليمان ، مارون عيسى الخورى ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ١٩٩٩ م ، ص ص ٢٠ ، ٣٥.

(١٨) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٣ ، ص ص١٥٨، ٢٥٦، ٣٠٦.

(١٩) كان يعقوب حنا من كبار الأقباط الذين انضموا إلى الاحتلال الفرنسى. وقد شاركه فى ذلك عدد كبير من الأقباط مثل المعلم جرجس الجوهرى ، والمعلم أنطون ، والمعلم أو طاقية وغيرهم، ولد يعقوب فى مدينة ملوى - التابعة لمحافظة أسيوط حالياً- حوالى عام ١٧٤٥م، لأسرة قبطية متوسطة.التحق بخدمة الأغنياء فى مجال تحصيل الأموال، وجنى من ذلك ثروة كبيرة، كما اكتسب بسبب ذلك خبرة كبيرة فى الشئون المالية. كان يعقوب حنا فى الثالثة والخمسين من عمره عندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، وعرض على بونابرت الالتحاق بخدمة الجيش الفرنسى بمصر. ولخبرته فى الشئون المالية والإدارية وافق بونابرت على تعيينه مرافقاً للجنرال ديزيه (Desaix) قائد القوات الفرنسية التى توجهت إلى الصعيد، وفى ذلك يقول الجبرتى: "سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنساوية إلى جهة الصعيد وكبيرهم ديزه، وصحبتهم يعقوب القبطى ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبآت". ومن جراء ذلك حصل يعقوب على ثقة ديزيه المطلقة حتى أنه حصل من الجنرال كليبير على رتبة كولونيل وجعله على رأس فرقة عسكرية من شباب القبط، ثم حصل على رتبة جنرال فى عهد مينو، وغادر مصر فى النهاية مع الحملة الفرنسية عام ١٨٠١م. انظر : عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار، ج٣، ص٢٥. أحمد حسين الصاوى: المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ص١٧، ٢٠ ، ٣٥ ، ٥١. محمد شفيق غربال: الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر، دراسة منشورة فى كتاب تراث محمد شفيق غربال (البحوث والمقالات)، ج١، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٢م، ص٢٢٦.

(٢٠) رسالة من الجنرال يعقوب إلى أحد جنرالات الحملة الفرنسية، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٠١ م، منشورة فى كتاب مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ، ١٨٠١ م ، المصدر السابق ، ص١٥٩ .

(٢١) أحمد حسين الصاوى : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٢٢) نص قصيدة يعقوب فى رثاء الجنرال ديزيه ، منشورة كاملة فى الملحق رقم (١) من كتاب / أحمد حسين الصاوى : المرجع السابق ، ص ١٠١ :١٠٤.

(٢٣) ومما يُدِّل على ذلك ما جاء فى احدى وثائق الحملة الفرنسية، والتى جاء بها أنه "باجتذاب الطبقات الفقيرة من الأهالى نستطيع أن نُحطم شيئاً فشيئاً نفوذ الطبقات الكبيرة والزعماء، وهم الطبقة الأرستقراطية فى مصر، ومن ثم نستطيع السيطرة على تلك الطبقات تماماً ... " / رسالة من الجنرال ج . مينو إلى المفوض المالى العام المواطن (دور) ، بتاريخ ٧ أكتوبر ١٧٩٩م، وثيقة منشورة فى كتاب مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٩٨، ١٨٠١م، المصدر السابق، ص٩٥ .

(٢٤) ذكر الجبرتى أحداث ثورة القاهرة الأولى تحت عنوان " ذكر ما وقع لأهل مصر من

التترس ومحاربة الفرنسيس وإثارة الفتنة (أى الثورة) " حيث ذكر أنه " تجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ، ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد – ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م – متحزبين وعلى الجهاد عازمين ، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية (أى عامة أبناء الحسينية) ، وزعر الحارات البرانية (أى فتوات الحارات التى خارج الحسينية)، ولهم صياح عظيم ، وهول جسيم ، ويقولون بصياح فى الكلام نصر الله دين الإسلام " ، عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٣ ، ص ٤١ .

(٢٥) حمادة جمال ناجى : الوعى الاجتماعى ودوره فى إيقاظ الجماهير الصامتة ، مقال منشور فى : مجلة الثقافة الجديدة ، العدد (٣٠٢) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، نوفمبر ٢٠١٥ م ، ص ١٤٨.

(٢٦) محمد رفعت: تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة، ج١، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٤م، ص٦٣. محمد صبرى الدالى: اتجاهات فى تفسير نتائج الاحتلال الفرنسى لمصر–دراسة فى نماذج من كتابات المؤرخين الفرنسيين والأمريكيين والمصريين، فى مائتا عام على الحملة الفرنسية (رؤية مصرية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٠٩.

(٢٧) رسالة من نابليون إلى حكومة الإدارة، رقم ٢٥٩٣، بتاريخ ١٨ ميسيدور (العام السادس للثورة) ٦/ يوليو ١٧٩٨م، منشورة فى كتاب الأوامر العسكرية اليومية لنابليون بونابرت فى مصر ١٧٩٨–١٧٩٩م، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٢٨) عبد الرحمن بن حسن الجبرتى: تاريخ مدة الفرنسيس بمصر، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(٢٩) العدد رقم (٢٠) من جريدة الكورييه دى ليجيبت، منشور فى كتاب: صحف بونابرت فى مصر ١٧٩٨–١٨٠١ م، ترجمة: صلاح الدين البستانى، دار العرب للبستانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ م ، ص ٦٨ .

(٣٠) جابر عصفور: الرحلة إلى الآخر فى القرن التاسع عشر ، دراسة منشورة ضمن كتاب (الغرب بعيون عربية) ، ج ١ ، وزارة الإعلام ? مجلة العربى ، الكويت ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٣.

(٣١) محمد صبرى الدالى : اتجاهات فى تفسير نتائج الاحتلال الفرنسى لمصر ، ص ٤٩٦.

(٣٢) الجبرتى: عجائب الآثار، ج٣، ص٥١٠ ، محمد صبرى الدالى: مسميات الأوربيين، ص ٣٤٨.

(٣٣) الجبرتى : مظهر التقديس ، ص ص ١، ٢٨٢.

(٣٤) حسن العطار: هو حسن بن محمد بن محمود العطار، من علماء مصر، أصله من المغرب، ومولده فى القاهرة عام ١٧٧٦م. أقام زمناً فى دمشق، وسكن اشكودرة بألبانيا واتسع

علمه. عاد إلى مصر فتولى إنشاء جريدة الوقائع المصرية، ثم تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ١٨٣٠/م إلى أن توفى ١٨٣٥م. وللعطار مؤلفات كثيرة فى علوم الشريعة والفلسفة والحكمة والمنطق وعلوم اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب وغير ذلك. خير الدين الزركلى: الأعلام، ج٢، ص٢٢٠، بيتر جران: الجذور الإسلامية للرأسمالية (مصر ١٧٦٠- ١٨٤٠م)، ترجمة: محروس سليمان، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص٣٤١- ٣٥٣. محمد عبد الغنى حسن: حسن العطار، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م، ص ص٨٤ - ٨٧.

(٣٥) حسن العطار: مقامة الأديب الرئيس الشيخ حسن العطار فى الفرنسيس، مخطوطة ضمن كتاب (هذه المقامات السيوطية للإمام الحافظ جلال الدين سيدى عبد الرحمن السيوطى)، دار الكتب المصرية، رقم ٩٧٧ أدب تيمور، ص٩٤.

(٣٦) حسن العطار: حاشية العطار على شرح الأزهرية فى علم العربية، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٤٧٨٢ ميكروفيلم، ص١.

(٣٧) إسماعيل الخشاب: إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن مذكور بن بكر بن عبد الله الوهبى المصرى، أبو الحسن، المعروف بالخشاب، من أدباء مصر. عُين مدوناً للحوادث اليومية فى عهد احتلال الفرنسيين لمصر، وتوفى عام ١٨١٥م. له شعر جمع فى ديوانه الذى سمى بـ " ديوان الخشاب"، وله كتاب " تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ هـ إلى دخول الفرنسيين . خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج ١، ص ٣١٤ .

(٣٨) عبد الله الشرقاوى: فقيه من علماء مصر، ولد فى قرية الطويلة من قرى الشرقية بمصر عام ١٧٣٧م، وتعلم بالأزهر، وولى مشيخته سنة ١٢٠٨هـ١٧٣٩/م، من أهم مؤلفاته "التحفة البهية فى طبقات الشافعية" و"تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين" و"متن العقائد المشرقية" و"فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى". وفى أيامه أنشئ رواق الشراقوة بالأزهر، وهو أحد الذين أكرهوا فى عهد الاحتلال الفرنسى على توقيع بيان بالتحذير من معارضتهم. توفى بالقاهرة عام ١٨١٢م . خير الدين الزركلى: الأعلام، ج٤، ص٧٨.

(٣٩) إسماعيل الخشاب: التاريخ المسلسل فى حوادث الزمان و وقايع الديوان (١٨٠٠-١٨٠١م)، تحقيق: محمد عفيفى وأندريه ريمون، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١ ، ٢ .

(٤٠) إسماعيل الخشاب: أخبار أهل القرن الثانى عشر، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم١٠٤١٧ ميكروفيلم، ص٢٧.

٤١)) إسماعيل الخشاب: ديوان ابن الخشاب، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٦٢.

(٤٢) نُشرت هذه الرسالة بالعربية فى صحيفة لاديكاد إيجيبسين بعنوان " Bibliographie

بيبليوغرافيا طبية Medicale "Ladecade egyptienne : ? journal litteraire et d'economie politique - troisieme Volume , au kaire , an viii de la republique francaise , p 197.

(٤٣) عبد الله الشرقاوى: تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القارى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢٢.

(٤٤) حسن العطار: مقامة الأديب الرئيس، ص٩٦.

(٤٥) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٢٦٢.

(٤٦) ج . دى شابرول : وصف مصر (دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين) ، ترجمة : زهير الشايب، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٧٠.

(٤٧) عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ١٥٧.

(٤٨) عبد الله عزباوى: الفكر المصرى فى القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٩٦، ١٠٤.

(٤٩) رسالة من نابليون إلى حكومة الإدارة ، بتاريخ ٦ يوليو ١٧٩٨ م ، تحت رقم (٢٥٩٣) ، منشورة فى: الأوامر العسكرية اليومية لنابليون بونابرت فى مصر، المصدر السابق ، ص ١٥٩.

(٥٠) رسالة من نابليون إلى الجنرال زيونشيك، بتاريخ ١٥ أغسطس١٧٩٨م، رقم (١٨٥٠)، المصدر نفسه، ص٢٧٥.

(٥١) رسالة من نابليون إلى الجنرال كليبر، بتاريخ ٢٩ يوليو ١٧٩٨م، تحت رقم (٢٦٨٠) ، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٥٢) رسالة من نابليون إلى الجنرال زيونشيك ، بتاريخ ١٥ أغسطس ١٧٩٨ م ، تحت رقم (٢٨٥٠) ، نفسه ، ص ٢٧٥.

(٥٣) الجبرتى: عجائب الآثار، ج٣، ص ص١٨، ٣٠٣، ٥١٠.